ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X
مجلة أبعاد
مجلد 09، العدد 01 (خ)، 2022

الرومانسية والنّظرة الجَمالِية للعالم

-دراسات في الثقافة الغربية الكلاسيكية، الحديثة والمعاصرة-

Romanticism and The Aesthetic View of the World

–Studies In Classical,modern and comtemporary Western Culture-

دليل محمد بوزيان * Dellil mohammed bouziane Dellilbouziane@yahoo.fr	فلسفة	جامعة أبو بكر بلقايد– تلمسان- الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2021/09/17	تاريخ القبول: 2022/04/05	تاريخ النشر: 2022/05/05

ملخص: الرومانسية، مِنَ الحركات والمذاهب الأدبية التي عبّرت بصدق عن جمالية العالَم دون الالتزام بصرامة العقل وقيوده، وهي مذهب مُتحرّر من كل القيود الأخلاقية والدينية. ومنه جاءت إشكالية بحثنا محصوراً في توضيح ماهية الرُؤية الرومانسية للعالَم الذي تُدرِكُهُ حواسُنا وتَتَعَرَّف عليه عُقولنا بمنظور الثقافات الغربية الكلاسيكية، الحديثة والمعاصرة، مُتَبَنين في ذلك منهجية الاستقصاء والتّحليل لمَسار تلك الحركات الرومانسية، لنكشِف على ذاك الحُضور والتواجُد الفَعّال للمفاهيم الرومانسية، في كل الفنون الأدبية والاجتماعية والسياسية للثقافة الغربية المُمتدّة خاصّة ما بين القرنين 18 م و19م. لِنُؤكِّد أنّ قُوة المشاعِر والعواطِف الإنسانية (مِن قَلَق وخَوْفٍ ورُعْبٍ وهَلَع وألَم) وكذا الخيال الجامِح كَسُلطة ناقِدة، هُم المصدر الأصيل لكُل التجارِب الجمالية في هذا العالَم.

الكَلِمات المِفتاحِية: الرومانسية؛ الكلاسيكية؛ الجَمالية؛ الأدب؛ الخيال

Abstract : Romanticism is one of the literary movements and doctrines that honestly expressed the beauty of the world without adhering to the strictness of reason and its restrictions, and it is a doctrine free from all moral and religious restrictions., and from it came the problem of our research limited to clarifying what the romantic vision of the world perceives and the perceptions of Western cultures Classic, modern and contemporary, Adopting the methodology of investigation and analysis of the trajectory of those romantic movements. Let us discover the presence and effective presence of romantic concepts in all literary, social and political arts of Western culture, especially between the 18th and 19th centuries. Let us emphasize that the power of human feelings and emotions (anxiety, fear, terror, panic and pain) as well as the wild imagination as a critical authority, are the original

* المؤلف المراسل: Dellilbouziane@yahoo.fr

source of all aesthetic experiences in this world. Let us discover the presence and effective presence of romantic concepts in all literary, social and political arts of Western culture, especially between the 18th and 19th centuries. Let us emphasize that the power of human feelings and emotions (anxiety, fear, terror, panic and pain) as well as the wild imagination as a critical authority, are the original source of all aesthetic experiences in this world.

Keywords: Romanticism; classic; aesthetic; Literature; The Imagination.

1. مقدمة:

في مقال للكاتب والمفكّر والفيلسوف بول فارلين " Verline Pöul" يقول: "لا بُدّ أن يكون المَرْءُ غير مُتّزِنَ العقل إذا حاول تعريف الرومانسية."[1]. وهو مُحِقٌّ في ذلك، ــ فلقد كانت الكلاسيكية* التي سادت أوروبا منذ القرن السابع عشر للميلاد (17م) وحتى أواخر القرن الثامن عشر (18م)، تأخذ بالسُلطان المُطْلق للعقل كما عبَّر عن ذلك "بوالو"** بقوله: " فلتُلَبُوا دائما العقل، ولِتَسْتَمِدَ منه وَحْدَهُ مُؤلفاتكم، كل ما لها من رَوْنَق وقيمة... بحيث لا تَظْهَر نُفوسكم إلاّ في صُوَرِها النبيلة...!" ثُمّ جاءت الرومانسية لِتُعارِض هذا الاتّجاه، ولتقول على لسان "ألفريد دي موسيه": " أوّل مسألة هي أن لا تُلقى بالاً إلى العَقل...بَل اقْرَع باب القَلب، ففيه وَحْدَهُ العبقرية، وفيه الرحمة والعذاب والحُب..." أمّا العقل فهو منبع الأخطاء، وهو الذي يُفْسِدُ مشاعِرنا نحو الطبيعة.[2]ــ فالرومانسية اذن، تتنافى مع الرؤية العقلية المجرّدة، كما تَرْفُض أيضا الأسلوب الكلاسيكي المهذّب والمُتأنِق. فهي أداة للهروب من الواقع المرير الذي طالما أثقل كاهل الانسان، لهذا فهي تتَّخِذ من الخيال المُجنّح أداةً لها، وهذا سِرُ مقولة "بول فارلين" السابقة.

ما نريد توضيحه وطرحه عبر صفحات هذا المقال، يَكْمُنُ في فكرة التأسيس للرومانسية كرؤية جمالِية للعالَم من خلال خِطاب العَوْد الذي سَنُمارِسه على هذا

---

[1] مانع ابن حماد الجهنى، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المجلد الثاني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط4، 1420هـ، ص، 759.

* الكلاسيكية مذهب أدبي، يُطلق عليه أيضا المذهب الاتباعي أو المدرسي، وقد كان يقصد به في القرن الثاني الميلادي الكتابة الارستقراطية الرفيعة والموجهة للصفوة المثقفة، أمّا في عصر النهضة الأوروبية والعصر الحديث: فكان يقصد بها كل أدب يحقّق المُثُل الانسانية، المتمثلة في الحَق، الخير والجمال...

**"نيكولا بوالو" (01 مارس 1636م / 13 مارس 1711م)كاتب وشاعر وناقد أدب فرنسي كلاسيكي. Nicolas Boileau

[2] راجع: دونكان هيث، جودي بورهام، أقدم لك... الرومانسية، ترجمة: عصام حجازي، مراجعة واشراف وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، العدد434، ط1، 2002م، ص، 5.

المفهوم، بداية مع أوّل مَنْ استعملها كنقيض للكلاسيكية وهُو الناقد الألماني " فريدريك شليجل" ومجموعة من الأدباء والشعراء والروائيين الرومنسيين الألمان أمثال: " جوتيه" (1749م/1832م) مؤلّف رواية "فاوست" والتي تُظهِرُ الصراع بين الانسان والشيطان. والشاعر "شيلر"(1759م/ 1805م) . أين بدأت تتبلور كمذهب أدبي تجديدي في مُقابِل الكلاسيكية، مع الرومانسية الانجليزية وذلك سنة 1711م، وكان من أبرز الرومانسيين الانجليز الأوائل: شُعراء كَـ: "توماس جراي"(1716/1771م) و" ويليام بليك" (1757/1827م) و"شيلي" (1762/ 1822م). لِيَظهر للوجود نوع من الفِكر الرومانسي المتحَرِّر في فرنسا والثائِر على الواقع، وكذا التَمَرُّد على سطوة الكنيسة، مِن خلال الثورة الفرنسية سنة 1789م أين ظهر الفيلسوف والمفكّر الاجتماعي "ج. جاك روسو"(1712/1788م) كرائِد للرومانسية الحديثة، وقد استخدمت "الرومانسية" هنا، كمصطلح في النقد الأدبي، حينما تُرْجِمت مسرحيات "شكسبير" إلى الفرنسية سنة 1776م، وسنُرَكِّز هنا أيضا على الشاعر الفرنسي "شارل بودلير" (1821/1867م)، الذي اتّخذ في زمانه المذهب الرومانسي شكل الإلحاد بالدين.

أمّا في إيطاليا فكان ميلاد نوع من الرومانسية، ارتبطت بالأدب السياسي، إذْ ترادَف مُصطلح "رومانسي" في الأدب بمُصطلح "ليبرالي" في السياسة. كما سنوضّح كيف أنّ الرومانسية الحديثة اتّخذت عدّة اتجاهات، حيث وجدناه انخرطت مسّت الاخلاق والعقيدة والفلسفة والتاريخ والفنون الجميلة...لنواصل الحديث عن معالم الرومانسية في مطلع القرن العشرين والمنعطف الجديد الذي سلكته، من خلال النقد للرومانسية الكلاسيكية التي ارسى معالمها "ج. ج. روسو" والتي تقوم على فلسفة العودة للطبيعة والتجاوز لكل ما له علاقة بالمنطق والعقل، حيث كان من أبرز ما دعت إليه الرومانسية الجديدة أنّه – لا خير في عاطفة أو خيال لا يقوم على العقل- في حدود ذلك سنؤسِّس لِمبادئ هذا المُنعطف الذي حدث في المذهب الرومانسي الجديد، ومُرتكزات نَظْرَتِه الجَمالية للعالَم.

مِن خِلال هذه الورقة البَحثية، نسعى لِنُقدِّم للقارئ نظرة مُتداخلة وتوضيحية، عن الحركة الرومانسية، وكيف تطورت وأهّم أعلامها الأوائل في الفكر الغربي الحديث (ألمانيا/فرنسا/ انجليترا/ ايطاليا) مع تبيان أثرها على ميلاد النزعة الفردية وإلى القومية، وكيف انعكست نتائجها وآثارها في مبادئ كالسياسة والاخلاق ...لِنَنْتَقِل في الأخير إلى

الحديث عن المنعطف الذي سلِكته الرومانسية الجديدة بعدما دعت إلى ضرورة العَوْدَة إلى العقل كمُرتَكز للعاطفة وللتّخيُل اللّذان كان في مدّة ليست بالبعيدة محّل انتقاد ونُفور لدى الرومنسيين الأوائل.

2. الرومانسية كصفة ــ بدايات الانتشار ــ

مع بداية القرن الثامن عشر (18م) للميلاد، بدأت صفة "رومانسي" تأخذ منحى ومفهوم جديد ومغاير لرومنسيات القرون الوسطى ــ لتَدُّل على كل ما هو فنان ومثير للخيال، عندما انتشرت عبادة الوِجدان والشُعور في منتصف القرن الثامن عشر (...) إذ عرّفها "صمويل جونسون" (1709م/ 1784م) في معجمه الصادر عام 1755م على أنّها أشبه بالحِكايات أو الرومانسيات المُمَثلة بِما هُو فنان ومُثير للخيال، وينْبُضُ بالمشاهِد الطبيعية، وأيضا كل ما هو زائف وغير مُحْتَمَل الحُدوث.[1] فكلمة "رومانسي" أو "رومانتيكي" (Romantic)، - صِفة تُطلق على كلّ ما يَتعلق بالنّزعة الأدبية التي عاشت في أواخر القرن الثامن عشر حتّى منتصف القرن التاسع عشر، وكانت تُبْرِز كل الإبداعي والتّعبير الذاتي والولَعُ بالطبيعة موضوعا للأدب ومعيارا لجدودته.[2]- ومن أسسها الفكرية الفلسفية -نُشْدان الحرية، فإذا كان شعار البُروجوازية "دعه يعمل دعه يمر" فإنّ شِعار الرومانسية "دعه يعبر عن ذاته-."[3]

كما يُمكِنُنا أن نعود بهذا المُصطلح إلى جذوره الاولى أين استُخدِم في بالمفهوم العام للكلمة في العصور الوسطى للدلالة على تلك الحكايات المليئة بالخيال والإثارة والبُطولات، أين كانت تُمَجَّد خصائص الفروسية السائدة في تلك الرومنسيات، صِفات الشَرَف والتوَدُّد للمرأة والاخلاص لها[4]. وقد تنامى تدريجيا هذا المفهوم وانتشر استعماله مع تفاقم ظاهرة قداسة الوِجدان وتفاقم المشاعِر، وذلك مع منتصف القرن الثامن عشر. فكان أوّل من استعمل كلمة "رومانسي" بالمعنى الاصطلاحي "صامويل جونسون"، - فقد وردت في كتاباته النقدية بمعنيين: **الأوّل للذّم** (سخافات رومانسية وخرافات لا تصدق). **والثاني للمدح** (عندما ينشر الليل جناحيه على مشهد رومانسي يخيم معه

---

[1] دونكان هيث، جودي بورهام، المرجع السابق، ص، 10.

[2]- مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب، ط2، مكتبة رياض الصلح، بيروت -لبنان، 1984، ص189.

[3] أنظر: محمد بوزواوي: معجم مصطلحات الأدب، (د ط)، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009، ص158.

[4] راجع: دونكان هيث، جودي بورهام، المرجع السابق، ص،09.

الهدوء والصمت والسكينة)، واستعملها "جان جاك روسو" في روايته "موليز الجديدة" ويعني بها الجمال السحري الخارق الّذي لا يفسر، وأضحت هذه الكلمة تقترن بالمشاعر اللذيذة التي تستمد عادة من الطبيعة أو الشعر أو الموسيقي، وكل شعر يثير الخيال والعواطف سموه رومانسيا "[1].

إنّ الرومانسية – بهذا الشكل هي - تأكيد فكري ـ وفني ذو طابع إيجابي لنقائض النفس البشريّة، إذ تُعبّر عن مجالات التجربة الكامنة خلف العقل والمنطق بأسلوب مباشر وصادر عن القلب، وتُعد هذه الاهتمامات الجديدة استجابة موائمة للتغيّرات الحادة وعدم اليقين الذي تجل في ذلك العصر.[2]

لكن رُغم الدلالات الكثيرة والمتنوعة التي أفرزتها أقوال العديد من الاتجاهات الأدبية والفلسفية حول هذا المُصطلح، إلاّ أنّنا لم نجد اتّفاقا كليّا حول تحديد تعريف جامع مانع لمصطلح "رومنسية"، وهذا ما ورد تأكيده في " معجم المصطلحات الأدبية" : « لا يمكن أن ينطبق مصطلح الرومانسيّة بدقّة على حالة ذهنيّة نوعيّة أو على زاوية نظر معيّنة أو على تكنيك أدبي ـ مُحدّد والرومانسيّة . كحركة . نشأت بطريقة مُتدرّجة جِدّاً بِأوجُه مُتباينة جدّاً في أجزاء كثيرة جِدّاً مِن أوروبا، بحيث أصبح الوُصول إلى تعريف جامِع لها ضَرباً مِنَ المُستحيلات[3]. »

قامت الرومانسية وانتشرت شيئا فشيئا وبِخُطى متسارعة بداية في إنجلترا ثمّ في ألمانيا ثمّ في فرنسا ثمّ في إسبانيا وإيطاليا، لتتوسّع بعد ذلك الى أمريكا، وجاءت الرومانسية تعبيراً فكرياً عن طبيعة العصر وروحه، فلقد سبقت ميلاد الرومانتيكية في أوروبا عوامل كثيرة ساهمت في نشأتها، منها ما يرجع الي العصر (خصائصه الاجتماعية والسياسية)، ومنها ما يرجع الي التيارات الفلسفية السائدة التي مهدت لتمجيد العواطف والإشادة بها، ومنها ما يرجع أخيراً إلى منابع أدبية جديدة، أتيح للآداب الأوروبية أن تنهل منها وتتشبّع بروحها.

---

[1] إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان- الأردن، ط،2003م، ص، 117.

[2] نغم عاصم عثمان، الرومانسية (بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية)، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية المقدسة، ط1، 2017م، ص، 17.

[3] معجم المصطلحات الأدبيّة، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربيّة للناشرين المتحدين، طبع التعاضديّة العالميّة للطباعة والنشر، صفاقس ـ تونس، الثلاثية الأولى، 1988م، ص 187.

3. الرومانسية في مُقابِل الكلاسيكية - عوامل النشأة والتطور - :

و بذلك كان نُشوء الرومانتيكية عند الكثير من النُّقاد يرجع إلى ثلاثة عوامل:

1. الوضع الاجتماعي- السياسي" :

ساد القرن الثامن عشر في أوربا جملة من الاضطرابات مسّت جُل القِيّم الاجتماعية والأخلاقية وحتى السياسية، فكان عصر الاستخفاف بالمبادئ القديمة، والتّحلُل الخُلقي، وقامت إلى جانب هذه الزلزلة (في القيم والمبادئ والأخلاق) جهود مُعتبرة لحَرَكات تَحَرُرِية، تَرمي إلى إعادة تنظيم الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية، إذ كان مِن ثمرة هذه الحركات، ظهور الثورة الفرنسية إلى الوجود (سنة 1789) التي ساعدت على تدعيم حُرِّية الكِتابة، بإقرار مبدأ الحرية العامة1.

أ- الفلسفة المِثالية- العاطِفية:

وتمثل في دعوات الفلاسفة واهتماماتهم الكبيرة بالفلسفة العاطفية، ورد الاعتبار (Réhabilitation) إلى النّفس البشرية، حيث أقَرَّت العديد من الرُؤى الفلسفية الغربية الحديثة أثناء حديثهم عن العواطف، أنّ النّفس ليست سِلبية بل فاعِلة وعامِلَة، وأساس عَمَلِها مُنحَصِراً في الرغبة التي يثيرها القلق، وبها تتابع عواطِفُها وتُحدَّد وتتكاثَر، ومصدر تِلْك الرغبة: العاطفة. هذه الأخيرة تُعْتَبَر الميزة الأساسية لروح هذا العصر والذي احتّلت فيه الرومانسية صدارة كل أنماط الانتاج الفكري الأدبي والفلسفي معاً. ولعلّ أبرز فيلسوفين أثّرَ بِعُمْق على المجتمع - باتفاق العديد من الباحثين في تاريخ الفكر الاوروبي لهذه الفترة- هُما (إيمانويل كانط 1724 –1800م) و(ف. هيجل 1770 – 1831م).

لقد لعبت فلسفة (كانط) دوراً كبيراً في فلسفة الفّن، ولقد تأثّر به عَدَد كبير من كُتّاب ونُقّاد تيّار الرومانسية، كما كان لِفَلسفَتِه صَداها في الأدب ونُقّادِه في أوروبا وأمريكا – وفي فلسفته مكان فسيح للفلسفة المثالية العاطفية، يثناهض بها الفلاسفة العقليين الذين يعتمدون على الحُجج العقلية الجافة، ومَبْدَؤُه بكل إنسان على حدة بوصفه غاية في ذاته – صورة من صور إقرار حقوق الإنسان كما كانت في الثورة الفرنسية، وكما تبدت في مؤلفات "ج. ج. روسو" الذّي تأثّر به "كانط" تأثيراً واضحا. كما يُعتبر كِتابه "نقد

[1] أنظر: محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، (الكلاسيكية، الرومانتكية، البرناسية، الواقعية، الرمزية، الوجودية، الدادية، السوريالية)، د.ط، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007م ص65 -6، بتصرف.

مَلَكَة الحُكم" الذي أصدره في عام 1790م، ذو أثر كبير في فلسفة الجَمَال، حيث جاء الكِتاب مُكمّلاً لفلسفة "كانط" النّقدية والتي بَرَزَت للعيان، من خِلال مؤَلَفَيْه: "نقد العقل الخاص" و"نقد العقل العلمي". ويَرجِع اهتمام "كانط" بالنَظرِية الجَمالِية إلى عام 1764م، حيث ظَهَر له مقال بعنوان: "ملاحظات حول الشعور بالجمال والجلال"، وبعد مرور سبع سنوات على ظهور هذا المقال كتب خطاباً لصديقه هرتس (Hertz) في يوليو 1771م، يقول له فيه: (أنه بصدد وَضْع كِتاب يعالِجُ فيه طبيعة الذَّوْق وحُدود الحَساسِية)[1]ـ هكذا كان التأثير القوي للفلسفة الكانْطِية على آراء الفَنانين، الذّين كانوا يَرَوْنَ في الفّن الإحساس بالجَمَال المَحْض، وفي الشِعْر تأمُل في التّجربة الذاتية.

ب- أمّا بخصوص الدَوْر الذي مارَسَتْهُ " الفلسفة الهيغيلية" في هذا المَجال مِنْ الحَركات الرومانسية، وباعتبارها

(أي فلسفة "هيغل") أيضاً امتدادا للفلسفة الكانطية، ولِشَرْح تطوُر الفّن، ينطلق "هيغل" مِنَ التأكيد على أَنَّ للفِكرة وُجودٌ مُستَقِل، وهي تَمُرُّ ـ في رأيه ـ عبر ثلاثة مراحل أساسية[2]:

الأولى: "المرحلة الرمزية"، أين كانت الفكرة ضعيفة، نتيجة سيطرت عَالَم الأَشْكال أو الصُورة أو المادة عَلى الفِكرة، لِذى انْحَصّر الجَمَالُ في هذه الفترة على عَالَم الأشكال المُثيرة للرَهبَة كَصُوَر المعابِد والمقابر الفِرْعَونية في بِلاد مِصْر القديمة.

الثانية: المرحلة الكلاسيكية والمُتمثِلة حَسْبَهُ في الفّن اليوناني، أين تساوَت وانطبقت الفِكرة مع مَضمونِها. وهي مَرحلة الكَمَال الفّني التي يَصِل إليها الفَّن مُستقبلاً - في رأى "هيغل " –

أمّا المرحلة **الثالثة:** فهي المرحلة الرومانسية، أين سَيْطَرت المسيحية وتغلَّبت فيها الفِكرة على الصورة، واختّل التَوازُن بَيْن الفِكرة والصُورة أو الشَّكل. هَكذا اختزل "هيغل" العَمَل الفّني في الفِكرة التّي حينَما تكتَمِل تأخُذ صُورَتَها أو شَكْلَها الجَمالي. إضافة إلى هَذَيْن الفيلسوفين، لا نَنْسى أيضاً الدَوْر الكبير الّذي لَعِبَه كلّ من "فريديريك نيتشه" (15 أكتوبر 1844 - 25 أغسطس 1900، فيلسوف ألماني، وناقد ثقافي، شاعِر ومُلَحِّن ولُغَوي

[1] راجع: أبو القاسم، قور، الفلسفة الغربية وأثرها على المذاهب المسرحية، (الكلاسيكية، الرومانسية، الواقعية، التعبيرية) الفصل الثاني، مقال منشور بتاريخ: 28 أفريل 2019م، على الموقع الالكتروني: http://alantologia.com

[2] انظر، أبو القاسم، قور، المرجع السابق، بتصرُف.

وباحِث في اللاتينية واليونانية.) و"شوبنهاور" (1860/1788) في إرساء وتدعيم أصول المذهب الرومانسي، بفلسفتِهما التَشَاؤُمِية الحَزينة.

2.2 العامل الأدبي" :

برزت معالمه خاصّة، مع اكتشاف "وليام شكسبير" (1564 -1616) في محيط القارة الأوربية من طرف "فولتير (Voltaire) "وذلك بعد مائة سنة مِنْ وفاته. فرُغم انتساب "وليام شكسبير" إلى الفترة الكلاسيكية، إلاّ أنّه عُرِفَ بِخُروجِهِ في الكثير مِنَ الأحيان عَنْ بَعض خصائص الكلاسيكية، كتَجاوُزه لقانون الوحدات الثلاث، وعرضه على خشبة المَسْرَح لِمناظِر الحَرب أو القّتل والمزج بين المأساة والملهاة. كما تأثّر "فيكتور هوجو Victor Hugo" (1802- 1885م) بفَنّيات " وليام شكسبير *William Shakespeare* "(23 ابريل 1564م/ 23 ابريل 1616م) المُجَدِّدَة، ودَعا أصحابه من الرومانتيكيين إلى الاحتذاء به [1]." ومن أهّم ما تميّزَ به هذا الاتّجاه أو هذا المذهب الأدبي عن المذاهب الأدبية التي سبِقَتْهُ، هو أنّه يقوم على الفردِية أو الذاتية، وأنّه يُرَكِّزُ على العفوية والتِلْقائِية في التعبير الأدبي، إضافة الى اهتمامه بكل ما هو طبيعي، ويقوم على أساس فصل الأدب عن الاخلاق، وحرية الابداع والابتكار، والاهتمام خاصّة بالمَسْرَح ـ فالمذهب الرومانسي هو مذهب أدبيّ يهتم بالنَّفس الإنسانية وما تحوي مِن عواطف ومشاعر وأخيلة أيًّا كان صاحبها ملحدًا أو مؤمنًا مع فصل الأدب عن الأخلاق، ويتصف هذا المذهب بالسهولة في التعبير والتفكير وترك الحُرية للنّفس لِتَكُونَ على سَجِيَتِهَا والاستجابة لِما تَهْوَى، والمذهب مُتحرِّر مِن قُيود العقل والواقعية اللّذان يُكْثِر إعمالَهُما في المذهب الكلاسيكيّ، ويُرى في هذا المذهب احتوائه على جميع تيارات الفكر السائدة في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ولا شَكَّ أنّ الرومانسية نشأت بفكر متحرر ومتمرّد على أوضاع كثيرة أهمّها الكنيسة وهيمنتها في ذلك الوقت[2].ـ

رُغْم ما وُصِفت به الرومانسية الانجليزية في القرن الثامن عشر، من خلال إحيائِها للأدب الإليزابيثي واتّجاهاته القوطية، بأنّها نهضة " عصرِ النهضة". إلاّ أنّه ينبغي في هذا السياق ـ أن نتوجّه بالشُكر إلى الفلاسفة الألمان الذّين تركوا تأثيراً عميقا في نهايات القرن الثامن عشر، حيث سادت الرومانسية في أنحاء أوروبا والعالَم الجديد، بوصفها

[1] محفوظ كحوال، المرجع السابق، ص، ص، 06،07، بتصرُف

[2]- انظر: نور، عفانة، تعريف حول المذاهب الادبية الأربعة، آخر تحديث: 17سبتمبر2019م، بتوقيت: 06.40سا، على الموقع الالكتروني: https://sotor.com

النموذج المُلائِم لأنماط التفكير المعاصِرة والمُتميزة، حيث فقدت في تلك المرحلة الكثير مِن إيحاءاتِها السِلْبِية[1]ـ وعموما ينبغي لنا أن نفهم حقيقة الأفكار التي جاءت بها حركة التنوير، حتّى يتسّنى لنا أن نُدرك معاني الرومانسية. إذ أنّ الكثيرون مِمّن يعتقِدون أنّ - حركة التنوير قد ركّزت على العقل وحده، دون أيّ مبالات بالعواطف والوِجدان ونوازع الشعور، والتي كانت مُدرجة في إطار المصطلحات الشخصية والسياسية، فعلى غِرار تجريبية "لوك"، مثَّل عصر الشعور جانِباً كبيراً من حركة التنوير في القرن الثامن عشر، حيث تجسَّد ذلك فِعلياً في إحدى مقولات الشاعِر "ديدرو": «...إنّها المشاعِرُ والمَشاعِرُ العظيمة فَحَسب، التي يُمكِنُ أَنْ تَسْمُو بالرُوح إلى المراتِب العَظيمَة.»[2]-

فرُغْم حقيقة القول بأنّ الرومانسية قامت على نقد العقلانية المُفرطة التي تميّزَت بِها حركة التنوير، إلاّ أنّ الروح الاصلاحية التي تميّز بها الفكر التنويري في مجالَيْ الفِكْر والسياسة، سَمَح لبعض المفكرين والفنّانين الرومانسيين إلى أخذ موقف التعاطُف مع تلك الحركة التنويرية التي حرّرَت الإنسان الغربي سياسيا وفكريا، فكأنّ الغاية واحدة هنا، هِي الحرية الفردية والسياسية، مِمّا جعَل للمَشاعِر قيمتَين: الأولى عقلانية والثانية وِجدانية - هذا الصِراع صَوَّرَتْه الرِوائية الانجليزية جان أوستين Jane Austin (1775م/ 1817م) في رِوايتها "العقل والشعور" سنة 1811م، وهي معروفة بنزعتِها الأخلاقية في الكِتابة ومتميّزة باتّجاهاتها المُتّزِنة نحو العقل والوِجدان.[3]ـ

4. نتائج الدراسة ومناقشتها:

عُموماً ونَحْن نَبْحَث حَوْل أُصول مُصطلح "رومانسية" أو "رومانتيكية"، وَجَدْنا شِبه اتّفاق بين الباحثين على أنّ هذه التسمية مُشتقّة في الأصل مِنَ الكلمة الفرنسية (Roman)، والتي استُخدِمت في العصر الوسيط بمعنى - قِصّة من قِصَص المُخاطرات شِعراً ونثراً، وكانت تُكتَب أحياناً (Romant)، وانتقلت إلى اللُغة الانكليزيّة في شكل (Romaunt)،ثمّ نُسِب إليها في الانكليزيّة (Romantic)، وهيّ صِفة تَدُّل على ما يُنسَب إلى قِصَص المُخاطرات، أو ما يثير في النّفس خَصائِصها وما يتّصل بها. وظلّت الكلمة في الانكليزيّة تُثير في الذِّهن مَنْظراً أو أثراً مِنْ آثار العُصور الوسطى. ويُعّدُ عام 1760م بدايةً

[1] دونكان هيث، جودي بورهام، المرجع السابق، ص،ص،10،11.
[2] المرجع نفسه، ص، 16، بتصرف.
[3] انظر المرجع نفسه، ص، ص، 16، 17.

التَّحَوُل الحقيقي، فَقَد بدأ يتبَلْوَر في المحيط الأدبي؛ فأصبحت تُطلق للدَلالة على أَدَب مُغايِر للأدَب الكلاسيكي. وانتقلت هذه الصِّفة إلى اللُغة الألمانيّة (Romantisch)، فكان معناها الأوّل، ما يَمُتُ بِصِلة إلى عَالَم الفُروسيّة في العصور الوسطى، أو ما يثير ذِكراه. وكان لهذا الفهم صدى في الأدب الرومانسي في انصرافه إلى إحياء العصور الوسطى في القصص التاريخيّة، وفي عناية كلّ أمة ببعث ماضيها التاريخي في أدبها[1].-

ثم انتقلت تلك الصفة إلى اللغة الفرنسيّة (Romantique)، وقد عَدّ البعض الفيلسوف السويسري "جان جاك روسو" Jean-Jacques Rousseau (وُلِد في جنيف، 28 يونيو 1712م وتُوفي في إيرمينونفيل، 02 يوليو 1778م) النّموذج الأوّل للرومانسية الذي حطَّم فِكرة عَقلانِية حركة التنوير، وذلك من خلال إدراجِه للمَلامِح العاطِفية والوِجدانية الحالِمة في الفِكْر، أين أبرَزَ دَوْر الخَيال الفَرْدي والطبيعة الوَهْمِية في فكّ عُقدة الواقِع المادي، كما أنّه أوّل مَن تَنبَأ بالهَوَس الرومانسي بِذاتِية الفَرْد. إنّ مُعظَم النُصوص (خاصّة الدراسة التي قدّمتها "مدام دي ستال")التي نظّرَت لأصول مصطلح "رومانسية"، تُؤَكِّد على أنّها أدب مُجْتمع جديد، أدب يقوم على الانفعال العاطفي، في مقابل الأدب الكلاسيكي. ويُقْصَدُ بِها في الأدب - ثلاثة مذاهب متشابهة في ثلاثة بُلْدان مُختلِفة: الأولى: يراد بها مدرسة الكُتّاب الألمان في أواخر القرن الثامن عشر ... الثانية: مدرسة الشِعر والنّقد الإنجليزية... وأمّا المدرسة الثالثةّ فَقَد ازدهَرت في فِرنسا، وأهمّ خصائِصها شِدّة العِناية بِـ (الأنا)، والتَعبير عَن الشُعور بِالوِحدة والحُزن الناشِئ عن القلق[1].-

إنّ الرومانسي - وفي رأيِه – وهو يحاوِلُ الوصول إلى مَعْرِفة حقيقة النّظرة إلى العَالَم، يعْتَمِد طَريق المشاعِر والعاطفة والوِجدان، أين يكون القلب خير دليل له. ليبقى جوهر وماهية الرُؤية الرومانسية للعالَم، الذي تُدرِكُهُ حواسُنا وتَتَعَرَّف عليه عُقولنا، مُجَرّد انعكاس لحقائق روحية وذاتية أكثر عُمْقا، وهذا ما جسّدته الفلسفة الكانطية التي

---

[1] نقلاً عن: نغم عاصم عثمان، الرومانتسية (بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية)، المرجع السابق، راجع أيضاً: الرومانسية الأوروبية بأقلام أعلامها ـ نصوص نقدية مختارة جمعتها وحرّرتها وقدّمت لها البروفسورة: ليليان فرست، ترجمة عن الانكليزية وقدم له: د.عيسى العاكوب، الدار الجامعية ـ حلب، دار جدل ـ حلب، ط1، 2001م، ص، 34 والعنوان الأصلي للكتاب بالإنجليزية:
- EUROPEAN ROMANTICISM, Self- Definition, An anthology compiled by: Lilian. R. Furst , METHUEN- London, New York.

[1] أنظر: معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص، 189.

قسّمت العالَم إلى قِسمين أو عالَمَيْن: عالَم الظاهِر وعالَم الباطن (عالَم الحقيقة)، وهذا ما دفَعَ "ولتَر ستيس" إلى القول: « إنّ كانط هو المُؤسِّس الحقيقي للمذهب الرومانسي[2].» وبهذا التأثير نبَعت روح المذهب الرومانسي كروح مؤثِّرة في كل أنماط الفكر بجميع مجالاته واتّجاهاته، حيث وجدنا حضور لهذه الروح في فلسفات رائِدة، عند كل من "فختة" و"شلينغ" و"هيغل" ... أمّا في مجالات الأدب، فكان حضورها بارزاً عند كل مِن " جوتيه" و"شيلَر" و"هردر" و"شليجل"...كما انتقلت الى مجال السياسة من خلال شَخْص رائد الحملة الفرنسية " نابُليون بونبارت" و"فاجنر" في الموسيقى...الرسم مع رواد الموجة الفرنسية في الفّن الرومانسي: "جيراكو Géricault و"دي لاكروا Delacroix" اللذّان جعلا فن الرّسم الفرنسي ذا مكانة طليعية جعلته يحافظ عليها طوال القرن التاسع عشر[3]. إضافة إلى شخصيات بارزة أخرى وفي الفُنون سواءا في بلدان أوروبا الغربية (فرنسا، بريطانيا، ألمانيا وإيطاليا وحتى اسبانيا) وكذا في روسيا وأمريكا. وهكذا برهنت المفاهيم الرومانسية على فعالية حضورها وتواجدها في كل الفنون الأدبية والاجتماعية والسياسية للفترة الممتدة ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بالخصوص، لِتؤكِّد أنّ قُوة المشاعِر والعواطِف الانسانية (مِن قَلَق وخَوْفٍ ورُعْبٍ وهَلَع وألَم) وكذا الخيال الجامِح كَسُلطة ناقِدة هُم المصدَر الأصيل لِكل التَجارِب الجمالِية في هذا العالَم.

الخاتمة:

بحثنا في هذه الدراسة عن العوامل التي أسهمت في انتشار الفكر الرومانتيكي في الثقافة الغربية منذ ارهاصاته الاولى في الفترات الكلاسيكية لأوروبا الغربية، إلى العهد الحديث لميلاد الرومانسية وانتشارها في دول الغرب وصولا الى الحديث على ابرز التغيرات والتطورات التي لحقت بهذا المصطلح في الفكر الغربي المعاصر. وقد كان استعراضنا لهذه المحطات بُغية الكشف على ذاك الحُضور الفَعَّال للمفاهيم الرومانسية في كل الفُنون الأدبية والاجتماعية والسياسية للثقافة الغَربية المُمتدّة ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بالخصوص، أين كانت لِسُلْطة قُوة المشاعِر والعواطِف الانسانية (مِن كآبَةٍ وقَلَق وخَوْفٍ ورُعْبٍ وهَلَع وألَم) وكذا الخيال الجامِح والناقد، دور في التأصيل والانتاج لِكل التَجارِب الجمالِية في هذا العالَم، فالمدرسة

[2] راجع: "ولتر ستريس"، الدين والعقل الحديث، تر: إمام، عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، د(ط)، 1998م، ص، 229.
[3] انظر: دونكان هيث، جودي بورهام، المرجع السابق، ص، 157.

الرومانسية الغربية عبّرت بِصِدق عن الشخصية التي تُكرِّسُ ذاتها، ولا تفكِّرُ إلاّ بحُرِيتَها وبِما تُحِبُ وترغب، أي أنّها دائمة الاتِّصال بحياتها. كما صارت كلمة "رومانسي" تشير في بدايتها إلى كل ما هو جديد وثائر وناقد لما هو قديم.

فقد استخدم في سنة 1776م هذه الكلمة الناقد الفرنسي "ليتورنير" للدلالة على النقد وهو بصدد تقديم محاضرات حول " مسرحيات شكسبير" ذات الطابع الرومانسي خاصّة مسرحية "روميو وجولييت"، مُترجما إياها إلى اللغة الفرنسية، وفي اواخر القرن الثامن عشر ميلادي اعترفت رسميا الأكاديمية الفرنسية بالرومانسية وأدخلتها القاموس، أمّ في انجلترا فقد أدخل الأدب الانجليزي هذا المذهب من كتاب " الأخلاقيات " للكاتب الانجليزي "شافنتسبري" إذ آمن بالطبيعة كمصدر للخير والجمال وتناول فيه الغرائز الانسانية التي فُطِر عليها واعتبرها مقدسة لها حق التنفس. أمّا الرومانسية في ألمانيا فقد بدأت من خلال ديوان "الكواكب والأفلاك" الذي يعود إلى جماعة "شعراء كوتنجن" سنة 1772م، وبعدها بقليل رواية Die Leiden des jungen Werthers"آلام الشاب فرتر" لغوته (Johann Wolfgang von Goethe) سنة 1774م، ثُمّ تأتي رواية " روبير" " فريدريش فون شيلر" Friedrich von Schiller **في سنة 1778م، أين اعتمدت لفظة "رومانسية" في الأدب الألماني*. ما اردنا الوصول اليه بعد تقديم هذه القراءة محصور في فكرة** الرُؤية الرومانسية للعالَم الذي تُدرِكُهُ حواسُنا وتَتَعَرَّف عليه عُقولنا بمنظور الثقافات الغربية الكلاسيكية، الحديثة والمعاصرة، والذي التمسنا انّها كانت رؤية متحرِّرة من كل القيود والسلطات والنزعات العقلية والاخلاقية وأيضا كانت خارج المرجعيات الدينية، حيث اطلق التفكير من الذات وتمركز حولها، اين ثارت هذه المدرسة او المذهب على كل ما هو قديم وكلاسيكي، أين قامت بتحرير الانسان واطلاق العنان لروحه الشاعرة في التعبير وبكل إبداع عن ما يجول بخاطره من وجدان، فكان أن شهدنا في هذه الفترات من تاريخ الانسانية أرقى أنواع الأشعار والفنون والآداب والمسرحيات. كل هذا بفضل

إطلاق النفس على سِجِيَتها وأهوائها، إضافة إلى اتصاف هذه المدرسة بالتّحرر والواقعية وعدم التزامها لا بالأيديولوجيات العقائدية ولا الأخلاقية، وكذا الجُحود بالعقل وتسليم

* راجع: نبيل راغب، المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1977،ص،ص، 24،25. بتصرّف.

القيادة للقلب كمركز للعاطفة، واعتماد سياسة الهروب من الواقع الكئيب والمُؤلِم، مِنْ خلال إطلاق العِنان للخَيال والانخراط في الطبيعة كمصدر للإلهام ومؤانسة الذّات.

كل هذه المواصفات التي التزمت بها المدرسة الرومانسية فتحت المجال امام رؤية أكثر جَمالية للعالَم . فهل حافظت الرومانسية الغربية على مكانتها ووجودها وابعادها وأهدافها الذاتية في ظل سيطرة العلمانية والتجريبية وعودة الواقعية والصراعات العقائدية اليوم ؟

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان- الأردن، ط،2003م.
2. إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبيّة، المؤسسة العربيّة للناشرين المتحدين، طبع التعاضديّة العالميّة للطباعة والنشر، صفاقس - تونس، الثلاثية الأولى، 1988م.
3. دونكان هيث، جودي بورهام، أقدم لك... الرومانسية، ترجمة: عصام حجازي، مراجعة واشراف وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، العدد434، ط1، 2002م.
4. مانع ابن حماد الجهنى، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المجلد الثاني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط4، 1420هـ.
5. مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب، ط2، مكتبة رياض الصلح، بيروت -لبنان، 1984.
6. محمد بوزواوي: معجم مصطلحات الأدب، (د ط)، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009.
7. محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، (الكلاسيكية، الرومانتكية، البرناسية، الواقعية، الرمزية، الوجودية، الدادية، السوريالية)، د.ط، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007م، بتصرف.
8. نبيل راغب، المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1977
9. نغم عاصم عثمان، الرومانسية (بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية)، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية المقدسة، ط1، 2017م.
10. نور، عفانة، تعريف حول المذاهب الادبية الأربعة، آخر تحديث: 17سبتمبر2019م، بتوقيت: 06.40سا، على الموقع الالكتروني: https://sotor.com
11. "ولتر ستريس"، الدين والعقل الحديث، تر: إمام، عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، د(ط)، 1998م.
12. EUROPEAN ROMANTICISM, Self- Definition, An anthology compiled by: Lilian. R. Furst , METHUEN- London, New York.